12me Année No. 560

Lundi - 27 - 3 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٦٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢ ربيع الآخر سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٧ مارس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة			
٢٦١	أبو العلاء المعرى	: أحمد حسن الزيات	...
٢٦٣	على هامش العيد الألفى لأبى العلاء	الأستاذ كامل كيلانى	...
٢٦٥	الأدب والأخلاق	: الأستاذ عمر الدسوقى	..
٢٦٨	محاورات الموتى	الكاتب الفرنسى برنار دفونتيل بقلم الأديب يوسف روشا	...
٢٦٩	منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها	الأستاذ سعيد الديوه جى	. .
٢٧٢	سجاد الأناضول	: الدكتور محمد مصطفى	...
٢٧٥	نقل الأديب	: الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى	
٢٧٦	« سلامة القس » [كتاب]	: الأستاذ دريني خشبة	... ...
٢٧٨	الشعر الجديد	: الأستاذ الكبير (ا . ع)	
٢٧٩	هل الموت مشكلة	: الأديب زكريا إبراهيم	. ...
٢٨٠	« الحكيم وليلى » لتوفيق الحكيم	للأستاذ محمد عبد الغنى حسن	
٢٨٠	من الشعر المنسى لحافظ ...	: الأديب أحمد الشرباصى	...

أبو العـــلاء المعرى

بمناسبة عيده الألفى

فى اليوم السابع والعشرين من شهر ربيع الأول عام ٣٦٣ ، والشمس فى الغروب، والقمر فى المحاق[1] ، والمرّة فى همود الكلال، والطبيعة فى فتور الكرى، وُلد الطفل النبيل الضئيل أحمد أبو العلاء !

كان فى ظلام الرحم ، وولد فى ظلام العشية ، ثم عاش فى ظلام البصر ، وانتهى إلى ظلام القبر ! ومن هـذا الظلام المتصل[2] نسج القدر حياة أبى العلاء وأنشأ عواطفه ، وسـود فلسفته ، وأبهم عقيدته ، وأوحش نفسه !

(١) المحاق : ثلاث ليال من آخر الشهر لا يرى فيها القمر

(٢) لم يبصر أبو العلاء الدنيا إلا ثلاثة أعوام قبل أن يصاب بالجدرى كانت عليه ظلاماً معنوياً لقلة وعيه وضعف إدراكه

ومن هـذا الظلام أيضاً تفجّر النور كله على قلبه وعقله ، فكان آية من آيات ربه الكبرى فى ذكاء الفهم ولطافة الحس وقوة الحفظ ودقة التخيل . وهو القائل :

سواد العين زار سواد قلبي   ليتفقا على فهم الأمـــور

وإذا كان لكل عاهة من عاهات الحس تعويض من قوى الروح ، فإن لها كذلك أثراً شديداً فى حياة المَرءِ ، ترسم له الطريق وتعين له الغاية . فعاهة أبى العلاء فرضت عليه أن يجعل العلم شغل حياته ؛ واختارت له من العلم أنواعه النقلية والنظرية مما تغنى فيه الحافظة وتعين عليه المخيّلة ، كاللغة والدين والشعر ، ووسائلها من الرواية والنحو والصرف والعروض ؛ فقضى عمره[1] الأول بين أيدى الشيوخ فى الشام وبغداد ، أو على مقاعد المكتبات فى المساجد والأديرة ، يسمع ويعى ، ويجمع ويستوعب ، حتى لم يدع كلمة فى معاجم اللغة وكلام العرب إلا علِقها ، ولا مسألة من مسائل العلوم الأدبية إلا حذقها . ثم قضى عمره الثاني معتكفاً فى داره ، يُمسِّل الشهدَ تعسيل النحل امتلأت بطونها برحيق الزهر المختلف ، ويُقطِّر الزلالَ تقطير المرشّح الضخم أفعم جوفه بماء السيل المشوب . ولغلبة الأدب على حافظته لم ينضح فؤاده إلا به ؛ وكتبه التى أملاها وهى تُربى على المائتين لم تخرج عن فنون الأدب المختلفة . أما علمه بالفلسفة وسائر العلوم فقد كان علم الأديب ، يأخذ منها ولا يعطيها ، ويشارك فيها ولا يختص بها . وأروع مظاهر النبوغ فى ثقافته الأدبية إحاطته باللغة إحاطة المستوعب ، حتى كانوا إذا عدوا من رُزقوا السعادة فى شىء لم يؤته الله غيرَهم ، عدوا أبا العلاء ممن تفرد بالاطلاع الواسع على لسان العرب . ومن هنا طغى الغريب على نظمه ونثره ؛ إذ كان همه مصروفاً إلى تقييد الأوابد اللغوية مما جمع عليه وعاء قلبه . وما كان فى نية أبى العلاء أن يكتب لدهماء الناس ، إنما كان يكتب لنفسه ولتلاميذه . فهو ينظم ليرتاض ، ويؤلف ليسجل ، ويملي ليعلم . ومن قوله فى مقدمة سقط الزند : « لم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد ، ولا مدحت طلباً للثواب ، وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السوس[2] » فإذا كتب للعامة أشرق لفظه وسهل أسلوبه ، كما صنع فى كتابه (سيف الخطيب) ، وهو مجموعة من الخطب المنبرية ألفها على حروف من حروف المعجم ، ثم قال : « وتركت الجيم والخاء وما يجرى مجراها ، لأن الكلام المقول فى الجماعات ينبغى أن يكون سجسجاً سهلاً »

وعاهة أبى العلاء هى التى جذبت إليه العيون وشغلت به الألسن ؛ لأن الضرير الذى يجيد النرد والشطرنج ، ويدخل فى كل باب من أبواب الجد والهزل ، ويحفظ من مرة واحدة ما يرد على سمعه مما يفهم وما لا يفهم ، عجيبة من العجائب التى يجب أن تُرى ، وتستحق أن تُروى . واكتظاظ مجلسه بالناس سبيل إلى الفضول والتزيد منهم ، وإلى مقابلة الحال بالحال وموازنة الحظ بالحظ منه . وأبو العلاء الذى خُلق بحكم منبته الكريم عزيز النفس رفيع الهوى ظاهر المزية ، كان يستشعر العجز والنقص بما يعلم من انطفاء بصره ودمامة وجهه وضآلة بدنه وقصر قامته ، فكان لذلك شديد التيقظ لحركات الجالس وكلمات المتكلم . وربما أساء الظن ببرىء ، وتوهم الإساءة من محسن . وهو فى طعامه وهندامه وسلامه وقيامه عُرضة للخطأ ومظنة للمؤاخذة ؛ فكان لا ينفك متزايلاً ضجِراً يديم الحذر ويؤثر العزلة

صاحب أبو العلاء الزمان ولابس الناس وراود السعادة حتى استحار شبابه ، فلم تزده الأيام إلا يقيناً بعجزه الطبيعى عن مجاراة الأنداد فى سباق الحياة ، وعن مرضاة النفس بلذات العيش ، وعن منازلة الخصوم بسلاح الإفك ، فانقلب إلى داره نافضاً كفيه من دهر لا رجيّة له فيه ، وعالَم لا صديق له به ، ونعيم لا نصيب له منه . وساعد على إمضائه نية الاعتزال فجيعته فى أمه وهى الظل الذى يأوى إليه ، والسبب الذى يتعلق به ؛ فزهد فى الدنيا وصدف عن الناس ، وأخذ نفسه بالخشونة والحرمان خمساً وأربعين سنة لا يلبس غير القطن ، ولا يفترش غير اللبد ، ولا يأكل غير العدس ، ولا يتفكه إلا بالتين . وهو فى أثناء ذلك الدهر الطويل منطو على نفسه ، متحامل على ذهنه ، يحوك القوافى ويصوغ الأسجاع فى التسبيح لله ، والتزهيد فى العيش ، والترغيب عن الزواج ، والزراية على أم دَفر[1] ، والتنديد بأبى البشر ، والتشنيع على رياء أهل الدين وجور أصحاب الحكم ، والتشكيك فى صلاح الأنظمة والشرائع .

كان أبو العلاء فى شبيبته نسيم رحمة ، ثم صار فى كهولته عاصفة دمار ! ولعله لو كان بصيراً متفائلاً كالجاحظ ، أو ضريراً شهوان كبشار ، لتبدل حكمه على الدنيا ، وتغير رأيه فى الناس !

أحمد حسن الزيات

(١) العمر أربعون سنة ، وناهز فلان العمرين إذا قارب الثمانين
(٢) السوس : الطبيعة ، تقول : الفصاحة من سوسه أى من طبعه

(١) أم دفر : هى الدنيا فى شعر أبى العلاء